مَع الشَّيْخِ مُحَمَّد الإِمَام

ـوَفَّقَهُ اللهُـ

تَنْبِيهٌ وَوَقْفَةٌ

بِقَلَم:

نزار بن هاشم العباس

خرِّيج الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة النبويَّة

والمشرف على موقع راية السَّلف بالسُّودان

www.rsalafs.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه..

أما بعد؛ فقد قال محمد الإمام -هداه الله- في جواب سؤالٍ وُجِّه له في كلمته لبعض طلبة العلم بالسودان، (بتأريخ٢/ربيع الثاني/١٤٣٤هـ)، ونصُّ السؤال: كيف يوفِّق طالب العلم بين حفظ متونه العلمية وشروحها وقراءة الكتب المنهجية ككتب الشيخ ربيع -حفظه الله- وكتب الشيخ الألباني -رحمه الله- وغيرهما من علماء السنَّة؟! فقال:

«إذا أنت تطلب العلم على يد عالم فخذ بالتوجيهات في التدرج في طلب العلم وفي البدء بالأهم فالأهم حسب ما يوجهك، فالكتب المنهجية هذه لا يحتاج إلى الإكثار من القراءة فيها بحيث تأخذ وقتاً كبيراً، المطلوب القراءة في الكتب التي يعني ما يتعلق بكتب العقيدة، بكتب... يتعلم واحد اللغة العربية، يتعلم مصطلح الحديث، يتعلم أصول الفقه وهكذا بحيث يصير عنده ملكة علمية وأسس يقوم عليها العلم الذي يريد أن ينشره ويريد أن يظفر به. فالإقبال على الكتب المنهجية هذا يكون حسب الحاجة حسب الداعي ولا يكثر من ذلك على حساب العلوم التي هي أهم من ذلك. أيضاً الشخص بحاجة إلى أن يقرأ في كتب الزهد حتى يحصل له إصلاح لقلبه؛ فإن هذا مما كان عليه السلف فتجد كثيراً من علماء الحديث ألفوا كتباً في الزهد وما ذلك إلا لحرصهم على إصلاح قلوبهم فإن الإقبال على المسائل التي فيها الخلافات والجدالات هي تقسي القلب شيئاً فشيئاً، فمن طريقة علماء الحديث ومن حرصهم وإدراكهم لأهمية الأمور أنهم لم يكونوا ينشغلون بهذه الأشياء كثيراً بل ينشغلون بالزهديات حتى تبقى القلوب مواتية فيها من الخشية ومن الرغبة فيما عند الله والإقبال على الله عز وجل، والله المستعان»!!! [راجع موقع راية السلف بالسودان للوقوف على الوثيقة الصوتية].

وَمَع الشَّيْخِ مُحَمَّد الإِمَام -وَفَّقَهُ اللهُ- تَنْبِيهٌ وَوَقْفَةٌ

أقول: سبحان الله!!! لا أدري ما الحامل على جَعْل كتب المنهج والردود العلميَّة السلفيَّة في قفص الظلم والاتهام الجائر هذا؟؟! فوالله الذي بيده أنفس الخلائق لولا الله ثم ما أجراه الله تعالى على أيدي هؤلاء الأعلام من إظهار أصول وتأصيل منهج السلف الصالح وردِّهم على من خالَفَه من أهل الأهواء والبدع كتابةً وصوتاً لضاع كثيرٌ من شباب الأمة ولتخطَّفَتْه أيادي أحزاب الهوى والضلال -لكن الله سلَّمَ وحفِظَ من حفِظَ- فإنَّ هذه الكتب خاصَّةً في هذا الزمان طلابُ العلم -بشتى درجاتهم على

هذه الأرض– في أعظم الحاجات إليها لأنَّها بعدَ الله حقيقةُ النُّصْحِ لهم؛ حيث توضِّح لهم الصراط المستقيم وتُبْرِز عظمته ونعمة الله على الأمة به وترفع رايته وتكشف عن حقيقته وتزيل عنه وعن أهله السائرين عليه كل الشبهات والتلبيسات وتدحضها وتكشف عوارها وظلامها وعوار أهلها فيستنير طريق الحق بها –وهو بحمد الله مُنَوَّرٌ– وقلوب المؤمنين إيماناً وحياةً ورِقَّةً وخشوعاً وإقبالاً على ربها مولاها، وتبقى الجادَّة الموروثة عن خير خلق الله مُورث العلم –صلَّى الله عليه وآله وسلَّم– بيضاء نقية كما تركها وجعلها أمانةً في أعناق أهل العلم والنُّصْح لا يزيغ عنها إلا هالكٌ.

• قال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى–: «اطلبوا العلم، وبالغوا في طلب العلم، وشمِّروا عن ساعد الجد في طلب العلم، وممَّا يساعدكم على إدراك العلم الصحيح كتبُ الردود؛ فإنَّها جزءٌ مهمٌّ جدَّاً من طلب العلم، والذي لا يعرف كتبَ الردود ولو حَفِظَ من العلم ما حَفِظَ فإنه بارك الله فيك في موقف المتزلزل!!»، وقال –حفظه الله تعالى–: «فكتب الردود مكتظَّةٌ بالعلم، ولا تجدون العلمَ الحيَّ النابض الذي يُميِّز بين الحق والباطل إلا في كتب الردود، والقرآن –واللهِ– يردُّ على أهل الكفر والضلال وعلى المنافقين وعلى اليهود وعلى النصارى وما ترك ضلالةً إلا وانتَقَدَها وفنَّدَها وبيَّن ضلالَهَا، والسُّنَّةُ كذلك ومنهج السلف مليئٌ؛ كتب العقائد وكتب الجرح والتعديل مليئةٌ بالنقد والرُّدود على أهل الباطل، لأن الحق والباطل لا يتمايزان إلا بهذا النقد وبهذه الردود» [شريط أسباب الانحراف ووصايا في المنهج].

• وقال –حفظه الله تعالى–: «ومحاربة ردود أهل السنة في هذا العصر بدأها الإخوان المسلمون الذين كانوا ينشرون الأقوال الباطلة والعقائد الفاسدة والكتب المضللة والطعون الظالمة في أهل السنة، فلما انبرى بعض أهل السنة لرد أباطيلهم وفتنتهم ومكايدهم غرسوا في أذهان الناس الطعن في الرادين وكتب الردود. ومما يؤسف له أشد الأسف أن نرى بعض أهل السنة يرددون ما غرسه الإخوان المسلمون من الطعن في كتب الردود وإنكار الردود على أهل البدع والفتن والضلال» [بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال].

• وسُئِلَ الشَّيخ العلامة د. صالح بن فوزان الفوزان –حفظه الله–: أحسن اللهُ إليكم، يقول البعضُ إنَّ الرَّدَّ على أهل الأهواء والبدع مضيَعَةٌ للوقت وأنَّه لا ينفع العوام، فهل هذا صحيح؟!

فأجاب –حفظه الله تعالى–: «مضيَعَةٌ للشخص هذا!! اللي قال هذا الكلام هذا هو الضَّائع أمَّا بيانُ الحقِّ فهو ردٌّ إلى الحقِ والصَّواب وجمعٌ للأمَّة على الحقِ والصَّواب. نعم» [محاضرة السَّلفيَّة حقيقتها وسماتها].

• وسُئِلَ كذلك: أثابكم الله، ما رأيُ سماحتكم فيمن يقول إنَّ كتب الرُّدود تُقَسِّي القلوب؟!!

فأجاب –حفظه الله تعالى–: «لا، ترك الرُّدود هو الذي يُقَسِّي القلوب؛ لأنَّ النَّاس يعيشون على الخطأ وعلى الضَّلال فتقسو قلوبُهم. أمَّا إذا بُيِّنَ الحقُّ ورُدَّ الباطل فهذا ممَّا يُلَيِّن القلوب بلا شك. نعم» [فتوى صوتيَّة من موقعه –حفظه الله–].

• وسُئِلَ الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى–: سائلٌ من الإمارات يقول: ما نصيحتكم يا شيخ لمن شغل نفسه من المبتدئين بما بين العلماء من الردود والأقوال ولا يعرف حتى فقه الطهارة وغيرها؟

فأجاب –حفظه الله تعالى–: «نصيحتي له أن يتفقَّه في الدين، في عقيدته وفي الشعائر التعبُّدية، وفي سلوكه وفي منهجه الذي يسير عليه، ومن ذلك كتب الرُّدود التي ردَّ بها السَّلف الصالح وأتباعهم على أهل الأهواء والبدع وما أكثرها في كل زمان ومكان. فلا يجوز لأحدٍ أن يتذرَّع بقلَّة الفقه في الطهارة أو الصَّلاة يتذرَّع بذلك ليحرم الناس من سماع كتب الردود وكتابتها والاستفادة منها وقراءتها، وإنَّما الدين كاملٌ فكما يجب أن نتفقَّه في العقيدة وفي الشعائر التعبدية نتفقَّه كذلك في المنهج العملي وفي السُّنَّة لنعمل بها ونتعرَّف على ضدِّها لنجتنبه وهي البدعة. فهذا هو الذي ينبغي أن يكون، فلا يجوز لأحدٍ أن يقول للناس اتركوا هذه الردود واتركوا كذا وكذا وعليكم بكذا!!، هذا بدون علمٍ يقول، لأنَّه إن لم يعرف الشَّرَّ وقع فيه، والرُّدود تبيِّن طريق الخير من طرق الشَّرِّ، فيسمع الشريط ويقرأ الكتاب ويسمع من العالم في جميع مراتب الدين: عقيدةً وشريعةً، سُنَّةً ومنهجاً. وما عُرِفَ لنا أصحاب البدع من قديم الزمان من عهد الصحابة إلى يومنا هذا إلا بواسطة كتب الرُّدود عليهم. فلو لم توجد كتب الرُّدود في الأزمنة والأمكنة ما عَرَفَ الناس أهل البدع ولا استطاعوا أن يُحذِّروا من مبتدعٍ. وعلى أهل الرُّدود عليهم عهد الله وميثاقه أن لا يقولوا إلا الحق، ولا يتهموا مَنْ ليس لهم عليه بيِّنة ومعرفة من كتابته أو مطوياته أو شريطه أو كتابه المؤلَّف. هذي طريقة الرُّدود، وبدون ذلك لا يجوز لأحدٍ أن يردَّ على سبيل الظن والاتِّهام بدون حقيقة. نعم» [لقاء الشيخ أحمد النجمي والشيخ زيد المدخلي في المدينة عام ١٤٢٧هـ].

ثم أقول على ضوء كلام هؤلاء الأعلام -أثابهم الله- وبالنظر إلى أصول المنهج السلفي الأصيل وأهله: إنَّ كلام الشيخ الإمام -أصلحني الله وإياه- هذا للأسف الشديد يقود إلى أمور ولوازم فاسدة خطيرة تخالف الحق والصواب من كل الوجوه منها:

(١) اتهام علماء السلفيَّة قديماً وحديثاً بأنهم أهل خصومات واختلافات.

(٢) أنَّ ما قاموا به من ردود علمية ومنهجية قديماً وحديثاً على سائر المخالفين نوع خصومات واختلافات.

(٣) أن ما كتَبَه السلف وألَّفوه -رحمهم الله- من كتب الزهد والرقاق ما ألَّفوه وكتبوه إلا على سبيل المقابلة لما كتبوه وألَّفوه في باب الردود والخصومات والاختلاف -بحسب تعبيره-؛ فإذا قست قلوبهم بذلك رقَّقوها بالرقاق والزهد!!!

(٤) وأنَّ كتابة السلف في هذا الباب والأصل -أعني الزهد والرقائق- ليست أصلاً قائما بذاته دعت إليه نصوص الكتاب والسنة وإنما تولَّد ذلك وظهر في مقابل شأن الجرح والتعديل فهو ردة فعلٍ ونتيجة انفعالية وليس بأصلٍ وبابٍ ثبت بالنص!!! ويترتب على ذلك:

(٥) التزهيد بل والصرف للأمة وشبابها من طلاب العلم خاصة عن كتب الردود السلفية العلمية على مخالفي الحق.

(٦) وكنتيجةٍ حتميةٍ سينصرفون عن علماء الدعوة السلفية ومنهجها لا محالة طلباً لترقيق القلوب والزهادة المزعومة!!! ثم:

(٧) الزج بالمسلمين وشبابهم -شَعَرْنَا أو لم نشعر- في أحضان المخالفين لهذه الدعوة السلفية وأهلها من أحزاب الفرق والضلال الذين يرددون للأسف ما قاله وقرَّره الشيخ الإمام في هذا الباب العظيم مخالفين لمنهج السلف وعلمائه كما بيَّنه مشيخة السلفية بالنقل عنهم كما سبق -حفظهم الله من كل سوء-، وحينها ستلتبس عليهم الأمور ولا يميزون بين دعاة الحق ودعوتهم ودعوات الباطل وأهلها -والزمان زمان جهلٍ وفتنةٍ وشبهاتٍ وأهواء- إلى غير ذلك من اللوازم والآثار السيئة الفاسدة المفسدة نسأل الله العافية والسلامة.

ولذا الواجب علينا كمسلمين وطلاب علم وحقٍّ إن شاء الله أن ندرك ونتصور بوعيٍ تامٍّ -مستعينين بالله الكريم وحده- ما يقوم عليه منهج السلف الصالح من أصول وقواعد وأحكام وسيرة عملية تطبيقية تحكي بحقٍّ وصدقٍ ما كان عليه السلف الصالح -رحمهم الله بواسع الرحمة- من العلم التام المحكم

الأصيل والبصيرة النافذة في كل أبواب الدين؛ اعتقاداً وقولاً وعملاً وإلا وقعنا في التخبُّط والاضطراب والتِّيه وخُضْنَا في بحار مظلمة موحشة من الخلل العلمي والمنهجي يترتب عليها أسوأ الآثار والمفاسد ولو رفعنا راية السلفية ودعونا إليها؛ لأننا بذلك سنسيء إلى ديننا الإسلامي العظيم –وهو بلاشك بفضل الله محفوظ معصوم– ونشوهه لأننا ألصقنا به ما يبرؤ كل البراءة منه، وسنظلم أسلافنا الصالحين أولياء الله المتقين ونسيء إليهم؛ لأنهم عنوان هذا الدين وشعاره، وسنظلم أنفسنا وغيرنا من المسلمين محل دعوتنا ونكون سبباً في ضياعهم وإضلالهم من حيث إرادتنا هدايتهم خاصة طلاب العلم والناشئة المبتدأة المتلمِّسين لطريق الحق.

فالواجب الحتمي على الدعاة إلى الله وطلاب العلم البصيرة والسير في ركاب أهلها من علماء الدعوة السلفية –حفظ الله حيهم ورحم ميتهم– ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)).

وأقولها بكل صراحة للأخ الشيخ الإمام ولغيره من أبناء المسلمين –وفقهم الله لكل خير–:

إنَّ تصويرك وإطلاقك لما يكون بين علماء الدعوة السلفية –حفظ الله حيهم ورحم ميتهم وأثاب جميعهم– من الرد العلمي المنهجي البنَّاء على خصومهم ومخالفيهم لفظ ومسمى الفتنة –بإطلاق وإجمال وتعميم بلا ضبط وتقييد– كما في بعض مواطن كتابك (الإبانة[1] عن كيفية التعامل مع الخلاف بين أهل السنة والجماعة)، وكقولك: «وتكلم الشيخ محمد بن هادي المدخلي على الشيخ يحيى بسبب تكلمه في الشيخ ربيع وغيره، فتكلم عليه الشيخ يحيى بما يزيد في الفتنة» [الاختصار لبيان ما في طريق الحجوري من أضرار] قد يكون من أسباب ما حَمَلك على هذا القول –المجانب للصواب– في كتب الردود العلمية المنهجية لعلماء الدعوة السلفية وطلابهم الراسخين –عظم الله أجرهم–؛ فإنَّ الفتنة هي فتنة المخالِف للحق بما أحدَثَه أو قاله أو أَصَّلَه بعيداً عن منهج الحق وأهله وفتنة من تابَعَه على ذلك وأيَّده وناصَرَه أو سَكَت ساكناً تجاه ذلك أو خَذَّل الناصح المنبري لردِّها وحربها ولم يؤازره، أما من قام في مثل هذا نُصْحَاً

---

(١) وهذا الكتاب فيه ما فيه من بعض القواعد والأقوال التي تفقد الدليل الشرعي والأصول المعتَبرة عند العلماء السلفيين، ولأجل ذلك نبَّه على بعض أخطائه فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي والشيخ العلامة عبيد الجابري وبعض طلاب العلم –حفظ الله الجميع–، وإذا يسَّر الله عزَّ وجلَّ على ضوء ما بيَّنوا ونصحوا –وفقهم الله– أنبِّه إن شاء الله على بعض المؤاخذات عليه.

ورَدًّا وبياناً وتفنيداً للشبهة وكشفاً للبس وإنزالاً للأمور في منزلتها المشروعة فلا يقال عنه أشعلَ فتنةً أو زادها فهذا من الكذب والظلم والإجرام بل هو ومن سلك مسلكه من أهل الحق يُشْكَرُ الله على تقييضه وإطلاقه لهم في هذا العمل المبارك –وأهله إن شاء الله– ويُشْكَرُوا هم لأنهم سلَّطَهم الله على هذه الفتنة وغيرها فكشفوها وردُّوها وأنقذوا من شاء الله إنقاذه منها فأماتوها بالكلية أو أضعفوها وأهلها وقلَّلوا من شرِّها وشررها وصرفوا الناس عنها وحموهم بعد الله من السقوط فيها والتلوث بها، فهؤلاء الأعلام العلماء جعلهم الله مغاليق شرٍّ مفاتيح خيرٍ استعمَلَهم الله في تحقيق قوله: ((بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)) وقوله: ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ)) وقوله تعالى أيضا: ((وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)) فعلماؤنا السلفيون وطلابهم –طوَّل الله أعمارهم في طاعته وغفر لميتهم– يحاربون الفتن وأهلها مع غاية النصح لهم ولعموم الأمة وحثيث السعي لإخماد نيرانها وقمع أهلها حين لا يُجْدِي إلا القمع. وبهذا تُنْصَر السنَّة وتُقْمَعُ البدعة ويتميز المحقُّ من المبطل ويتميز أتباع الحق عن أتباع الباطل ويتحقق الفرقان بين الفريقين والجهتين بفضل الله وقوته ورحمته ثم بجهود وجهاد أهل العلم السلفيين وطلابهم ليبقى للأمة الإسلامُ صافياً نقيَّاً غضَّاً طريَّاً كما أراده الله ورسوله –صلى الله عليه وآله وسلم– للناس كافَّة.

فإطلاق الشيخ الإمام –وفقه الله– للفظة ومُسَمَّى الفتنة حين كلامه على ردود العلماء السلفيين أو طلابهم على المخالفين وأصحاب الأخطاء –وتهويله مع تهوينه لهذا الشأن في ذات الوقت!!!– يوهم ويشوش بل سيصرف الأمة وشبابها من طلاب العلم خاصة عن: الموقف المطلوب شرعاً تجاه علمائنا السلفيين وطلابهم وجهودهم الناصحة في هذا الجانب الأصيل من دين الله –سددهم الله– وتجاه المخالفين ومناهجهم المنحرفة والأخطاء –التي قد تقع حتى من الموافقين للسلفيَّة وأهلها– من جهةٍ أخرى؛ وذلك لأنه في خضم هذا الصراع بين الحق والباطل وبيان الخطأ والصواب كسنَّةٍ كونيةٍ وشرعيةٍ جارية في عباد الله تعالى حتى يرث الله الأرض ومن عليها والحقُّ والصوابُ –والحمد لله– منَّ الله به على أهل الحق ((وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا))، وفي السنَّة: «لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتِي ظاهرين، حتى يأتيَهم أمرُ اللهِ وهم ظاهرونَ» [البخاري]، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، حين يسعى طالب الحق والحقيقة والصواب لمعرفته وتلمُّسه ولا سبيل إلى ذلك بعد توفيق الله ورحمته إلا بالرجوع إلى

علماء الدعوة السلفية وطلابهم الراسخين ومنهجهم السلفي وجهودهم الكريمة المشكورة فيه (حقيقة الإسلام الصافي) ويسمع ويتلقَّف في أثناء طريقه وسعيه مثل ما يطلقه الشيخ الإمام –أو غيره– من مسمى ولفظ الفتنة في وَصْف ذلك الصراع مع توجيهه –أعني الشيخ الإمام– بعدم الإكثار من النظر في كتب الردود السلفية العلمية المنهجية لأنها تقسي القلوب؛ سينصرف المسلمون وطلاب الحق والعلم لا محالة عن ذلك الخير كله وراية الحق ولوائه وحملته، لِمَ؟! خوفاً من الفتنة وقسوة قلوبهم!!! لأنَّ ذاك الصراع فتنة –بإطلاق– لا ظهور للحق فيها ولا تمييز ولا تمايز له ولأهله –والعياذة بالله–، وقد بيَّن الله عز وجل في كتابه أنَّ الفتنة كل الفتنة تكون بمخالفة دينه وأمر رسوله –صلى الله عليه وسلم– ((فَلْيَحْذَرِ الذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) فالمخالفون للإسلام وأحكامه من أهل الاهواء والبدع والمصرّين على أخطائهم هم أهل الفتن وأما من حكَّم شرع الله وسار عليه فهم أهل الخير والسلامة والعافية، والحمد لله.

ويجري على ذات المنوال في الإطلاق اللفظي غير المتَّزِن وعدم العدل والإنصاف مما يبذر بذور الفتن والشر ويشوِّش على الأمة أيضاً وعلى شبابها المتلمِّس لطريق الحق –في اليمن وغيره– في أزمان الفتن هذه ما صرَّح به الشيخ الإمام أيضاً –أصلحني الله وإياه– متعرِّضاً بالمملكة العربية السعودية –حرسها الله وبلاد المسلمين من الفتن والشر– حيث قال:

«وأيضاً لا تنسى أن الإقبال على العلم الشرعي في المملكة ليس كما كان مِن سابِقٍ، كان مِن سابِق الإقبال على العلم كثير جداً، الآن خفَّ، خفَّ طلب العلم في المساجد، حتى تحفيظ القرآن لاحظنا أنه يعني قد خفَّ فلا ينبغي، بل المطلوب أن يزاد في هذا الخير خصوصاً في الأماكن التي يسهل الازدياد والتزود من هذا الخير في أماكن توفرت فيها الأسباب من جهة المال من جهة الأماكن المُعَدَّة والمهيَّأة، لكن لا تنسى أن المال والدنيا إذا كثرت كثيراً ما يكون فيها من الأمراض ما في ذلك، من الأمراض والآفات والمنغِّصات ما في ذلك، فالله أعلم وأحكم وأرحم، فنحمد الله الذي يسَّر لنا بطلب العلم وبالتعليم وبالدعوة إلى الله» [شريط رحلتنا إلى الحج].

وقال في حديثه عن المملكة أيضاً: «الأمر الذي نحب أن تدركوه جليَّاً أننا لم نجد راحة، لم نجد راحة بالرغم من توفير الراحة في أمور الدنيا هذه وما دنيا، هناك إلا أننا لم نجد الراحة التي نجدها في طلب العلم هنا» [المصدر السابق].

وقال كذلك: «ما يوجد في اليمن من انتشار العلم هو الذي حبَّب إلينا البقاء في هذه البلاد ولم يحبِّب إلينا البقاء في غيرها قط؛ انتهى الحج ضَجِرْنا نريد نرجع إلى بلادنا وإلى طلابنا وإلى إخواننا نعيش معهم ونعيش جميعاً وسوياً مع القرآن الكريم ومع السنة المطهرة» [المصدر السابق].

وقال أيضاً: «أيضاً وجدنا (كلام كثير) من الناس حول الكفالات وما الكفالات وحديثهم طويل وعريض والشكاوي والكثير في هذا الباب في أمر الكفالات والإقامات والمقيمين وأحوال المقيمين وما صَدَر من قوانين مِن قِبَل الدولة السعودية في حقِّهم وهكذا إلى آخره، فعلى كُلٍّ كما سمعتم يعني هذا مما يجعلنا نرى أنَّ الإقبال على العلم هو أنفع لنا ولن يضيع الله من أقبل على دينه، لن يضيعه الله عز وجل؛ كم تتيسر لطالب العلم من أمور ربما ما تيسرت لمن يرى أن الدنيا بين يديه؛ ييسر لطلاب العلم من الأمور المهمة والأمور النافعة ما هو من الأمور الكماليات التي قد تكون مفسدة قد تكون مشغلة، لكن ييسر لهم مثل الزواج، مثل التعاون في طلب العلم، مثل قبولهم لإقامة دعوة لإمامة مساجد، التعاون معهم، إعطاء بيوت لهم، إلى غير ذلك من الأمور التي تعد إعانةً على هذا الخير العظيم» [المصدر السابق].

فأقول والله المستعان:

(١) سبحان الله العظيم!!! إذا لم يكن العلم السلفي الأصيل النافع في بلاد الحرمين –حفظها الله– ومنها نَبَعَ وعنها إلى كل الدنيا صَدَر في هذا العهد فلا أدري (وكل المسلمين المنصفين والعقلاء فضلاً عن العلماء وطلابهم الفضلاء) أيها الشيخ الإمام ما العلم وأين أرضه وأهله؟!! بل دعوة السُّنة السلفيَّة في اليمن وربوعها التي غرز رايتها ونشرها الشيخ العلامة مقبل الوادعي –رحمه الله تعالى– وأنت ومن معك من الدعاة وطلاب العلم بعد الله وفضله من آثارها وثمارها ما جاء بها وعنها صَدَر الشيخ العلامة مقبل –رحمه الله– إلا من هذه المملكة العربية السعودية وعلمائها السلفيين وعلمهم المتين في العقيدة والمنهج وسائر فنونه وأبوابه بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية والمسجد النبوي وغيره من المحافل العلمية –حَرَس الله الجميع– بل كانوا للشيخ –رحمه الله– ناصحين أيام وجوده بالمملكة العربية السعودية باذلين له كل خير –رحم الله الجميع– بل كانوا له –رحمه الله– ناصحين كل النصح أيضاً بعد رجوعه إلى اليمن بالاتصال والمراسلة والوصايا ويحذِّرونه كل تحذيرٍ مما كان يحيط به من بعض حمَلَة دعوة السرورية القطبية في اليمن خاصَّةً فضيلة شيخنا الوالد العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله تعالى– الذي كان ولا يزال حريصاً على دعوة الشيخ مقبل السلفيَّة –رحمه الله– بل كان يمدُّه حفظه الله بما يحتاجه من هذه

المملكة العربية السعودية ببعض الكتب العلمية التي يحتاجها أذكرُ منها على سبيل المثال كتاب (تأريخ نيسابور) للحاكم لأنَّ الشيخ مقبلاً –رحمه الله– كان في حاجةٍ إليه لاشتغاله بمستدرك الحاكم في ذلك الزمان، هذا مما عايشتُه وسمعتُه ورأته عيناي فكيف بمن هو أسنُّ وأعلم بذلك وأخبر فهذا حال شيخ شيوخ اليمن ودعاته وحال علماء بلاد الحرمين قديماً وحديثاً لا يخفى على كل منصفٍ، بل ما حُورِبَت فتن اليمن في ساحته الدعوية وجُلِّيَ أمرها وكُشِفَ حالُها وحال أصحابها بعد الله إلا مِن قِبَلِ علماء هذه المملكة السعودية (التي لا يدَّعي لها علماؤها عصمةً وسلامةً من النقص لكنها بحمد الله من خيار بلاد المسلمين، بل ما فيها من شعائر الإسلام الأصيلة الظاهرة من رَفْع راية توحيد الله رب العالمين، وحرب الشرك والسحر والدجل مما يخالفه ويناقضه، وإقامة حدود الله على الخلق، وتعظيم قدر الصلاة وإغلاق الأسواق لاحترامها وإقامتها، ورفع راية الدعوة السلفية وعلومها وتدريسها ونشرها داخل المملكة وخارجها لا يوجد له مثيلٌ في كل بقاع الأرض لا في اليمن والهند ولا حتى في أرض السند!!!) كفتنة القطبية السرورية وفتنة المأربي وفتنة الحجوري وهم –حفظهم الله وطلابهم– لغيرها على مرِّ الزمان والدهور بحول الله راصدون قامعون وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فما قاله الشيخ الإمام –أصلحه الله– ليس بحقٍّ ولا إنصافٍ ثم العبرة ليست بالكثرة والجمهرة وأعداد الذوات والمساجد والدروس والمراكز... إلخ؛ وإنما العبرة المعتَبَرَة الشرعية بالحق والصدق وإنْ قَلَّت الأعداد والأعيان كما لا يخفى على أصغر طالب علمٍ مبتديء!!! ((فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ))، وفي السُّنة وصف الغرباء أصحاب الطائفة الناجية المنصورة بالقلة ومخالفوهم بالكثرة «ناسٌ صالِحُونَ قَلِيلٌ في ناسِ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أكثرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ» [السلسلة الصحيحة].

(٢) ثم أُذكِّر الشيخ الإمام ومن يظنُّ ظنَّه ويسير سيره تجاه المملكة العربية السعودية وعلمائها السلفيين وطلابهم –حفظهم الله جميعاً– باليمن وغيره من بلاد المسلمين بنصوص في السُّنة –وهي لا تخفى عليه ولا على غيره إن شاء الله–:

• عن أنس بن مالكٍ –رضي الله عنه– أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى: يا ابنَ آدمَ إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرتُ لَكَ على ما كانَ فيكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ لو بلغت ذنوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثمَّ استغفرتَني غفرتُ لَكَ ولا أبالي، يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ثمَّ لقيتَني لا تشرِكُ بي شيئًا لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً» [صحيح الترمذي].

• وعن سفيان بن أبي زهير –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «تفتحُ الشامُ فيخرجُ من المدينةِ قومٌ بأهليهم يُبِسُّون والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم تفتحُ اليمنُ فيخرجُ من المدينةِ قومٌ بأهليهم يبسون والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتحُ العراقُ فيخرجُ من المدينةِ قومٌ بأهليهم يبسون والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون» [صحيح مسلم].

• وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «منِ استطاع أن يموتَ بالمدينةِ فلْيفعلْ فإني أشفعُ لمن ماتَ بها» [السلسلة الصحيحة].

• وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: «إنَّ الشَّيطانَ قد أيِسَ أن يعبُدَه المصلُّونَ في جزيرةِ العربِ ولَكنْ في التَّحريشِ بينَهم» [صحيح مسلم].

• وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إن الإيمانَ ليأْرِزُ إلى المدينةِ كما تأْرِزُ الحيةُ إلى جُحرِها» [صحيح البخاري].

• عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ إلا المسجدَ الحرامَ» [البخاري].

• وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «على أنقابِ المدينةِ ملائكةٌ، لا يدخلُها الطاعونُ ولا الدَّجَّالُ» [صحيح مسلم].

وكان شيخنا الوالد حماد الأنصاري –رحمه الله تعالى– يقول في حديث (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق): «إنَّ المملكة العربية السعودية داخلةٌ في هذا النص لرفعها راية التوحيد والسُّنة والسلفيَّة والدعوة إليها وإقامتها حدود الله ورعايتها للحرمين مع عدم عصمتها –وفقها الله وسائر بلاد المسلمين لكل خير–».

فهذه بعض النصوص الطيبة المباركة فضيلة الشيخ الإمام –وفقك الله– دالةٌ بمجرَّد النظر على مُرادِها ومحطِّ معناها على فضل بلاد الحرمين والتي كان الشيخ العلامة الألباني –رحمه الله– يصفها بقوله: (دولة التوحيد) –حرسها الله– [كما في كتابه (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)]، وقال –رحمه الله–: «... لأن السعوديين –وخصوصاً أهل العلم منهم– لا يزالون –والحمد لله– محتفظين بعقيدتهم في التوحيد ومحاربين للشركيات والوثنيات...» [مقدمة شرح الطحاوية].

(٣) ثم لا ينكر أهل العلم وطلابهم الحمد لله ما جعله الله لبقية أرضه من الفضائل كبلاد الشام واليمن مما ثبتت به النصوص «إني رأيتُ عمودَ الكتابِ انتُزِعَ من تحتِ وسادتي فنظرتُ فإذا هو نورٌ

ساطعٌ عمد به إلى الشامِ ألا إنَّ الإيمانَ إذا وقعتِ الفتنُ بالشامِ» [صححه الألباني في تخريج فضائل الشام]، «فُسطاطُ المسلمين يومُ الْمَلْحَمَةِ بالغُوطةِ إلى جانب مدينةٍ يُقالُ لها دِمشقُ من خير مدائنِ الشامِ» [صححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح][٢]، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «الإيمانُ يَمانٍ، والحكمةُ يَمانيةٌ» [صحيح البخاري]؛ فإنَّ ذلك كله منضبطٌ بضوابط الشرع وأصوله التي عبَّر عنها الصحابي الجليل سلمان الفارسي –رضي الله عنه– بقوله: «إنَّ الأرض المقدَّسة لا تقدِّس أحداً وإنَّما يقدِّس المرءَ عملُه» [أخرجه مالك في الموطأ]، وربما أخَذَ ذلك –رضي الله عنه– من قوله تعالى: ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) فهي فضائل عامة مُطْلَقَة تنطبق على الأعيان بتحقيق ما دلَّت عليه ذات النصوص من الأحكام والأوصاف والشروط من تحقيق الإيمان وأصوله والسير على جادته المعروفة المسلوكة بالحق والصدق؛ بذلك يكرم أهل الأرض في كل البقاع وإن خَلَت النصوص من ذِكرٍ لها بفضلٍ أو منقبةٍ ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))، فمدينة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وما ورَدَ فيها من فضائل عظيمة كريمة يقول –صلى الله عليه وآله وسلم– مخوّفاً ومحذِّراً من يسكنها أو ينزل فيها ويَرِدُ عليها: «المدينةُ حرَمٌ ما بينَ عِيرٍ إلى ثَورٍ، فمَن أَحدَث فيها حدَثًا أو آوى مُحدِثًا فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمَعينَ، لا يُقبَلُ منه يومَ القيامةِ صَرفٌ ولا عَدلٌ» ذلك لأنها منبع الحق والإيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذا قال –صلى الله عليه وآله وسلم– محذِّراً ومخوّفا أيضاً من خالَف أهل الحق فيها وعاداهم: «مَنْ أرادَ أهلَ المدينَةِ بسوءٍ أذابَهُ اللهُ كما يذوبُ الْمِلْحُ في الماءِ» [صحيح الجامع]، ولاشك أنه يدخل في ذلك من عادى هذه الدولة التي ترعاها وأهلها –حفظ الله الجميع على الخير–.

(٤) وقد استقرَّ عند عامة المسلمين –مع خللٍ في بعض تصوراتهم– فضلاً عن خاصتهم مِن العلماء والطلاب تَعَلُّقُ نفوسهم بالحرمين الشريفين ومحبتهم لهما وكم تتوق نفوس كثيرٍ من طلاب العلم في شتى بقاع الأرض –قديماً وحديثاً– إلى السفر إلى أرض الحرمين لنيل القرب والطلب والأخذ عن أهل العلم السلفيين الراسخين وتلقي العلم والمنهج الصافي عنهم –حفظ الله حيهم ورحم ميتهم–، وما تسنُّه الدول من قوانين وتراتيب إدارية ونُظُم تجاه من يفد إليها يُتَكَلَّمُ فيها بالميزان الشرعي المنضبط تجاه ولاة الأمر على ضوء النصوص الواضحة في هذا الباب؛ فإنَّ من حق دول الإسلام في ظل هذه التغيرات وكثرة الفتن والشر والأشرار والفوضى العارمة «لا يأتِي عليكم زَمانٌ إلا الذي بعدَه شرٌّ منه» إقامة شروط

---

(٢) راجع لذلك (فضائل الشام ودمشق) للربعي بتحقيق الشيخ الألباني –رحمه الله تعالى–.

ولوائح تنظيمية مما يحفظ لها أمنها وشعوبها ويرتِّب لهم شؤون حياتهم وإنْ وُجِدَ في ذلك من ظلمٍ أو خطإٍ –فليس من عصمةٍ لمخلوق إلا لبشر رسول– لا يعالج بمثل مسالك وأساليب من لا علم له ولا ضابط شرعي يحكم أقواله وتصرفاته فيقول مايقول ويهرف بما يهرف، بل يُنْصَحُ الولاة والمسئولون بما شرعه الله «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانيةً ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدَّى الذي عليه» [السنة لابن أبي عاصم] ثم الدولة السعودية لم تغلق الباب بكليته على المسلمين والحمد لله بدليل أنَّك فضيلة الشيخ الإمام جئت من بلادك حاجَّاً ولها زائراً، وأنت تعلم وكل سلفيٍّ منصفٍ أن هذه البلاد السعودية –حفظها وسائر بلاد المسلمين ربُ العالمين– مستهدفةٌ من أعداء المسلمين من الكفار ومن سلك مسالكهم من المسلمين المعتنقين لعقائد الهوى والبدع والضلال كالخوارج والروافض الشيعة والعلمانيين والليبراليين وغيرهم فلا تلام ولا غيرها في ظل هذه الظروف أن تنظِّم شأنها وشأن من يقطنها ويَرِدُ عليها من بقاع الأرض، فذِكْرُك فضيلة الشيخ –وفقك الله– وعَرْضُك لهذا الكلام حول هذا الأمر السلطاني المحض بهذا السياق والإطلاق في وسط طلابك باليمن ومستمعيك لا يخدم الدعوة السلفية وأهلها وهؤلاء الطلاب الذين بين يديك –وأنت مسؤولٌ عنهم بين يدي الله سبحانه لأنهم أمانةٌ في عنقك– بل يوغر الصدور وتشحن به النفوس على من؟!! على أفضل دول الإسلام راعية التوحيد والسنة وعلمائها السلفيين الراسخين الذين نحن في أحوج الحاجات الآن أن نربط الأمة بهم في اليمن وسائر بلاد المسلمين فكيف إذا انضاف إلى ذلك ما نَشَرْتَه على مسامعهم –وهو خلاف الواقع– أنَّ مظاهر العلم قَلَّتْ في السعودية وتغيرت، وشاهدُ الواقع الحمد الله ينطق بخلاف ذلك.

وكذلك –وفقك الله– فضيلة الشيخ الإمام حين يرى طلابك وسائر من يحضرك باليمن ويسمعك بها وخارجها تتناول حكام المسلمين من على منبر الجمعة ناصحاً –وليس من النصح الشرعي– أو منتقداً[٣]

---

(٣) قال الشيخ الإمام في خطبة (المؤامرة الأمريكية) بتأريخ (١٩/ذو القعدة/١٤٣٣هـ): «مع العلم أنَّ رؤساء العرب لا أستثني واحداً منهم أنهم قد تنازلوا عن أشياء كثيرة من الإسلام وقد ارتكبوا ما ارتكبوا مما حرم الله ونحن نعلم أن ذلك لغرض تهدأة أمريكا ولغرض أن يقولوا لها ها نحن قد أطعناكم وها نحن نسير كما تريدون لكن هؤلاء الأعداء ليسوا راضين لو ذبحتم أنفسكم أيها الملوك والرؤساء والزعماء أيها القادة للأحزاب لو ذبحتم أنفسكم ما كان هذا مرضياً لأعدائكم حتى تحاربوا الإسلام...». =

يظنُّون ذلك من دين الإسلام وصميم العلم والنصح لحُسْن ظَنِّهم بك ودعوتك والدليل الشرعي الثابت على خلاف ذلك «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانيةً ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدَّى الذي عليه»، وعلى هذا النص جرى ويجري منهج السلف الصالح تجاه ولاة الأمر والحكام، فالواجب علينا جميعاً الانضباط بالنصوص والسير عليها وفق منهج السلف الصالح وتربية من تحت أيدينا ورعايتنا وإرشادنا على ذلك والنصح لهم والسعي على تجنيبهم مزالق الفتن والبدع والشر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً مستعينين بالله الذي لا حول ولا قوة إلا به.

(٥) ثم علينا أيضاً أيها المسلمون وطلاب العلم في كل مكان –وفقني الله وإياكم لكل خير– أنْ نتَّعِظ ونعتبر بما وقع فيه وابتلى الله به علي الحلبي الشامي ويحيى الحجوري اليمني ومن سار على شاكلتهما –سائلين الله العافية والسلامة– فإنَّ الحلبي كان يدندن مع انحرافه وضلاله ويتشبَّث –ولم يُجْدِهِ تشبُّثُه– بالنصوص الواردة في فضل الشام وأهله وكذا فَعَلَ الهلالي سليم –هداهما الله– (خلال زيارتهما السودان ونزولهما على السوداني الضال مختار بدري وجماعته عام ١٤٢٧هـ، معْرِضِين صفحاً عن نصح بعض العلماء السلفيين لهما بعدم النزول عليهم) فلم تُغْنِ عنهما نصوص الفضائل حينما خالفوا نصوص الأصول والأحكام ومنهج السلف الصالح وكذا لم يُجْدِهِمَا ويُغْنِهِمَا أيضاً انتسابهما إلى علامة الشام السلفي –بحقٍّ إن شاء الله– الألباني –رحمه الله تعالى–. وكذا على ذات الطريق سار يحيى الحجوري اليمني –هداه الله– الذي جَعَلَ من دمَّاج ومركزها أرضاً مقدسةً جديدةً مع الانتساب أيضاً لعلامة اليمن الشيخ مقبل –رحمه الله تعالى–؛ قال الحجوري [كما في شريط له بعنوان: (شرح جامع بيان العلم وفضله/٥٨)]: «يحذِّرون الناس من هذا الدار قاتلهم الله أنىَّ يؤفكون»، وقال: «دار الإسلام من حذر منها حذر من الإسلام»!! ثم آل أمرُه إلى ما آل إليه من البدع والضلال، وقد قال أحد أتباعه [كما في شبكة العلوم السلفية]:

ترى القوافلَ نحو الدار قادمةً *** كأنها مكة تقفوا لها العير

= وقال أيضاً: «يا عباد الله أعداء... أعداء يمكرون ليلاً ونهاراً، أيُمَكَّن لهم من البلاد أيمكَّن لهم من البلاد أن يدخلوها عسكرياً؟!! فلهذا ندعوا حكام المسلمين حكام العرب ورؤساء العرب وقادة الأحزاب إلى أن يحذروا من هذا التواطؤ مع أمريكا دمرها الله نحذرهم من أن يسمحوا بالتواجد الأمريكي في أي قطر من الأقطار العربية ومن أجزاء الجزيرة العربية...».

وقد أحاطوا بيحيى في مجالسه *** كما يحيط ببيت الكعبة السور

نسأل الله العافية والسلامة، قال –صلى الله عليه وآله سلم–: «من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضَّلني على كثيرٍ ممن خلَقَ تفضيلاً؛ لم يُصِبْهُ ذلك البلاء» [صحيح الترمذي].

(٦) وقد تحدَّث علماء أكابر عن رحلتهم إلى الحج قديماً وحديثاً –كالعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى وغيره– نثراً وشعراً مع ما غَرَزه الله تعالى في الفطر من محبة الأوطان والأهل وحب الرجوع إليها، ولهم في العلم القدم الراسخ ومن الطلاب والجهود الكثير الكثير بما لا يقبل أدنى مقارنةٍ بمن هو لاشك دونهم فضلاً أو متأخر عنهم على مَرِّ الزمان لا يصرِّحون –ولم يُعْهَدَ عنهم– ما يُظْهِر ضجرهم أو امتعاضهم بمفارقة الأهل والأوطان وشأنهم العلمي بها بل يتحرَّقون بمفارقة الأرض المقدَّسة ومشاعرها ويمنون النفس ضارعين إلى ربهم الكريم أن يمنَّ عليهم بالعود إليها من جديد، بل هذا يتمنَّاه عامة المسلمين في الماضي والحاضر، بل نسمع منهم اليوم جزيل الشكر والثناء على دولة الحرمين الشريفين –حرسها الله– واللهج بالدعاء لله سبحانه لها ولولاتها وعلمائها بما وجوده من حسن الحفاوة والضيافة والأمن والرعاية والتوجيه والإرشاد وبيان أحكام الله في الحج وغيره، بل ينبهرون بما وجدوه ولمسوه أيضاً من وسائل خدمتهم وراحتهم بأحدث الوسائل العصرية فيرجعون إلى الله بالشكر ثم شكر ولاة الأمر الذين أجرى الله على أيديهم خدمة الحرمين الشريفين بكل ما هو متاحٌ وممكنٌ –جزاهم الله خيراً– هذا هو صنيع عامة المسلمين المنصِفين جزاء الإحسان بالإحسان والشكر فكيف بصنيع صاحب العلم الشرعي السائر على منهج السلف الصالح تجاه ذلك كله؟!! الذي ينطلق في أقواله ومواقفه من نصوص الشريعة وأصولها ومنهج السلف الصالح القائم على ذكر محاسن الولاة وجميل صنائعهم وسد ذرائع الشر في هذا الباب العظيم الخطير، وقد ثبت في السنَّة: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله» [صحيح الجامع]، وهذا من صميم النصح لمن ولاه الله أمر حكم عباده كما هو معلومٌ ومتقررٌ في السنَّة أيضاً؛ فعن تميم بن أوس الداري –رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «الدِّينُ النَّصيحةُ» قلنا: لمن؟ قال: «للهِ ولكتابِهِ ولرسولِهِ ولأئمَّةِ المسلمينَ وعامَّتِهم» [صحيح مسلم].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي –رحمه الله–: «وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل» [جامع العلوم والحكم].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني –رحمه الله–: «والنَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين إعانَتُهم على ما حمِّلوا القيامَ به، وتنبيهُهم عند الغفلة، وسدُّ خلَّتهم عند الهفوة، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم، ومِن أعظم نصيحتهم دفعُهم عن الظلم بالتي هي أحسن» [فتح الباري].

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز –رحمه الله–: «ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر لأن ذلك يفضي إلى الانقلابات وعدم السمع والطاعة في المعروف ويفضي إلى الخروج الذي يضر ولا ينفع» [المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم].

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله–: «ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين يجب احترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وطاعتهم، حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتُقِرُوا أمام الناس وأُذِلُّوا وهُوِّنَ أمرهم ضاع الأمن وصارت البلاد فوضى ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ» [شرح رياض الصالحين].

وقال الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي –حفظه الله–: «فنحن نحرص على إصلاح الحكام بالنصيحة وبالحكمة والموعظة الحسنة على الطريقة الشرعية، وليس بالتشهير والتحدي والتهييج، لا، وإنما بالطريقة الحكيمة وهذا المسلك سلكه الصحابة؛ فكانوا ينصحون الأمير فيما بينهم وبينه.

الآن –والله– العامِي في الشارع تتردد كيف تنصحه وبأي أسلوب تتعامل معه؟! تأتيه بأسلوب لطيف ولطيف ثم ما أدري هل يقبل أو لا؟! فكيف بواحدٍ عنده شوكة وعنده سلطان وعنده قوة وتأتي تهينه أمام الناس وتشهِّر به كيف يقبل منك؟! إذن هؤلاء الذين يشهِّرون لا يريدون الخير، يريدون إثارة الناس ويريدون الفتن ولا يريدون الإصلاح! فالإصلاح له طرقه بارك الله فيكم!

فندعو لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح وبسط العدل في الرعية، ندعو لهم بهذه الأشياء كلها، نسأل الله أن يصلحهم ويصلح لهم الرعايا، ونؤلف الناس عليهم ونصبِّرهم عليهم بالحكمة ونبيِّن لهم المصالح الكبيرة التي تترتب على ذلك، ونبين لهم المفاسد التي في الثورة وفي التهييج وفي سلِّ السلاح وماذا يترتب عليه من مفاسد عظيمة وإلى آخره، وكيف وجَّهَنَا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ونذكر الأحاديث التي وردت في هذا الباب.

كنا نذكر هذه الأحاديث وأحاديث كثيرة ونفصِّل فيها فيعتبروننا عملاء! الذي يبيِّن للناس منهج الحق يعتبرونه عميلاً! فنعوذ بالله من الفتن» [شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث].

فلا أدري ما الذي نجنيه من وراء هذا الكلام وإطلاقه وما ثماره فضلاً عن بثِّه وإذاعته في أوساط طلاب العلم أو عامة الناس فضيلة الشيخ الإمام؟!! فكيف القول فيمن يشيع مثالب الولاة ويطاعنهم بها؟؟! إلا إيغار الصدور ودفع الشر إلى القلوب وإشعال نيران الضغائن في نفوس المسلمين ثم صرفهم شيئاً فشيئاً عن منهج السلف الصالح وعقيدته وجميل قولهم وفعلهم في باب الولاة والحكام وغيره وزعزعة الأمة وشبابها وقذفها في أودية الضياع؛ حيث تنقلب عليهم الحقائق والأمور فيظنُّون الحق باطلاً والباطل حقًّاً والسنَّة بدعةً والبدعة سنَّةً ويظهر حينها دعاة السنَّة المخالفين لمنهج السلف في هذا الباب في صورة دعاة البدع كالخوارج ودعاة اليسار والجهال وغيرهم كثير، فاللهم سلِّم سلِّم. فهذه وقفةٌ مع فضيلة الشيخ الإمام –حفظه الله– راجياً من الله أن تكون وقفة خيرٍ وتناصحٍ ورجعةٍ إلى ما ينبغي أن نكون عليه جميعاً إن شاء الله من الحق والنصح فيه وإن تناءت الديار وتغايَرَت الجذور والأنساب، فاللهم اهدنا وسددنا.

ثم أقول أيضاً: إنَّ قولك هذا في أوساط طلابك وسامعيك بهذا الإطلاق والسياق غير المنضبط والتعميم في مثل هذا المقام سيقود إلى مفاهيم وانطباعات لا تُحْمَد عاقبتها بمجرد سماعها فضلاً عن لاحق المآل وسيكون لها أسوأ الأثر –إنْ لَم يُسَلِّم الله– في نفوس المسلمين عامة والسامعين من طلاب العلم خاصة؛ فتهويلك للأمور وعدم إنصافك تجاهها وتصويرك لها بهذا الأسلوب البعيد عن الميزان الشرعي للأسف الشديد حَمَلَك على قول خلاصاتٍ عجيبة وغريبة جداً وغير سليمة، كقولك: «عندنا من الخير ما ليس له نظير» [شريط رحلتنا إلى الحج]!!! مع أقوالك السابقة غيرالسليمة أيضا؛ «وأيضاً لا تنسى أن الإقبال على العلم الشرعي في المملكة ليس كما كان مِن سابِقٍ، كان مِن سابِق الإقبال على العلم كثير جداً، الآن خفَّ، خفَّ طلب العلم في المساجد، حتى تحفيظ القرآن لاحظنا أنه يعني قد خفَّ فلا ينبغي» فلا أدري أيها الشيخ الإمام ماذا تريد منها؟!! وما الذي ترمي إليه وتريد إيصاله وتقريره؟!! فإن أي ناظرٍ في كلامك هذا لايفهم منه إلا:

(١) أن العلم الشرعي والدعوة إليه لا يوجد بصورته المطلوبة إلا عندك في اليمن فحسب!!! وهذا من أعظم الجور وعدم الإنصاف؛ نعم قد تصح المقارنة –في بعض صورها– مع بعض دول الإسلام لكن كلامك كله منصب على أرض الحرمين السعودية، وهذا فيه من الخلل والمجازفة ما فيه.

(٢) تعريضك للأسف الشديد بعلماء ومشايخ السلفية وطلابهم بالمملكة العربية السعودية ومناوشتك لهم وتناولك إياهم بما لا يليق بهم أبداً من وراء كلماتك –بأدنى تأمل–، وإلا فمن يقوم

بفضل الله بواجب العلم السلفي الأصيل هنالك إلا هم –حفظهم الله من السوء– وهذا فيه من الخلل والمجازفة وعدم العدل والإنصاف أيضاً ما فيه، ولو لم يكن مؤداه إلا إلى تحقير جهودهم العلمية الأصيلة –والتي بفضل الله امتدت قديماً وحديثاً حتى اليمن فضلاً عن سائر بلاد الدنيا– وازدرائها وازدرائهم لكفى به مجازفةً وظلماً لأهل الفضل الأبرياء الشرفاء ناهيك عن إيغار الصدور عليهم والنظر إليهم بعين الانتقاص والتنقص من شأنهم وبذلهم للأمة علومهم الذاخرة. وكأثرٍ حتميّ سيءٍ وردة فعلٍ فاسدةٍ سيقع بمثل هذه التعديات والمجازفات والتعريضات ومسالك الاحتقار –إن لم يعصم الرحمن–:

(٣) الصد والصرف عن سبيل علمائنا السلفيين ومنهجهم السلفي وعلومهم النافعة فضلاً عن بلادهم بلاد التوحيد والعلم، وهذا من أعظم الشر والفتن ولذا قال –صلى الله عليه وآله وسلم–: «بحسب امريءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» [مسلم]، فالواجب على الشيخ الإمام –وفقه الله– وعلينا جمعيا –وفَّقنا الله– تحقيق قوله تعالى –مستعينين به وحده–: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا))، وقوله: ((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا))، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «الكلمة الطيبة صدقة» [البخاري]، والخوف كل الخوف مع الحذر من مخالفة ذلك؛ فقد قال –صلى الله عليه وسلم–: «إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالًا يرفعُ اللهُ بها درجاتٍ، وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جهنَّمَ» [البخاري]. وإنَّ من أعظم ما يجلب السخط والنقم والعياذة بالله الظلم –بكل أنواعه– والقول على الله بلا علمٍ والافتراء على الأبرياء؛ قال –صلى الله عليه وآله وسلم–: «اتَّقوا الظُّلمَ؛ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ» [مسلم]، وكيف لا يكون ظلمات واللهُ يقول: «يا عبادي! إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّمًا، فلا تظَّالموا» [مسلم]، نسأل الله العافية.

[مقتَبَسٌ من رسالة نُشِرَت في موقع راية السلف بالسودان، بتأريخ: ١٤/ صفر/ ١٤٣٥هـ]